

سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكاتته، فَإِنَّ أَمْرَهُ كَانَ قَدْ انْتَشَرَ وَظَهَرَ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فَأَمَنُوا بِهِ وَبَايَعُوهُ عَلَى هِجْرَتِهِ وَهَجْرَةِ أَصْحَابِهِ إِلَى بَلَدِهِمْ وَعَلَى الْجِهَادِ مَعَهُ، فَهَاجَرَ هُوَ وَمَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ آمَنَ بِرَغْبَةِ دُنْيَوِيَّةٍ وَلَا بِرَهْبَةٍ إِلَّا قَلِيلاً مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْلَمُوا فِي الظَّاهِرِ ثُمَّ حَسَّنَ إِسْلَامَ بَعْضِهِمْ.

ثم أُذِنَ لَهُ فِي الْجِهَادِ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ وَلَمْ يَزَلْ قَائِماً بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى أَكْمَلِ طَرِيقَةٍ وَأَتَمِّهَا مِنَ الصِّدْقِ وَالْعَدْلِ وَالْوَفَاءِ، لَا يُحْفَظُ لَهُ كَذِبَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَا ظَلَمٌ لِأَحَدٍ وَلَا غَدْرٌ بِأَحَدٍ، بَلْ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَوْفَاهُمْ بِالْعَهْدِ، مَعَ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ مِنْ حَرْبٍ وَسَلْمٍ، وَأَمْنٍ وَخَوْفٍ، وَغْنَى وَفَقْرٍ، وَقَلَّةٍ وَكَثْرَةٍ، وَظُهُورِهِ عَلَى الْعَدُوِّ تَارَةً، وَظُهُورِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِ تَارَةً، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ لَازِمٌ لِأَكْمَلِ الطَّرِيقِ وَأَتَمِّهَا، حَتَّى ظَهَرَتِ الدَّعْوَةُ فِي جَمِيعِ أَرْضِ الْعَرَبِ الَّتِي كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَمِنْ أَخْبَارِ الْكُهَّانِ وَطَاعَةِ الْمَخْلُوقِ، وَالْكَفْرِ بِالْخَالِقِ، وَسَفْكِ الدَّمَاءِ الْمَحْرَّمَةِ وَقَطِيعَةِ الْأَرْحَامِ، لَا يَعْرِفُونَ آخِرَةَ وَلَا مَعَاداً، فَصَارُوا أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَدِينَهُمْ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ؛ حَتَّى إِنَّ النَّصَارَى لَمَّا رَأَوْهُمْ قَدِمُوا الشَّامَ قَالُوا: مَا كَانَ الَّذِينَ صَحَبُوا الْمَسِيحَ بِأَفْضَلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَهَذِهِ آثَارُ عِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَأَثَارِ غَيْرِهِمْ، يَعْرِفُ الْعُقَلَاءُ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

وهو صلى الله عليه وسلم مع ظهور أمره وطاعة الخلق له وتقديمهم له على الأنفس والأموال مات ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ولا شاة ولا بعيراً، إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير ابتاعها لأهله. وكان بيده عقار يُنْفَقُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ وَالْبَاقِي يَصْرَفُهُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فَحَكَمَ بِأَنَّهُ لَا يورث، وَلَا يَأْخُذُ وَرَثَتُهُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ عَجَائِبِ الْآيَاتِ وَفَنُونِ الْكِرَامَاتِ مَا يَطُولُ